

التحرير والتنوير

والمراد ب (الذين يخلون) : المنافقون وقد وصفهم ا بمثل هذه الصلة في سورة النساء وأمرهم الناس بالبخل هو الذي حكاه ا عنهم بقوله (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول ا حتى ينفضوا) أي على المؤمنين .

وجملة (ومن يتول فإن ا الغني الحميد) تذييل لأن (من يتول) يعم (الذين يخلون) وغيرهم فإن (الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل) أي في سبيل ا وفي النفقات الواجبة قد تولوا عن أمر ا و (من) شرطية عامة .

وجملة (فإن ا الغني الحميد) قائمة مقام جواب الشرط لأن مضمونها علة للجواب فالتقدير : ومن يتول فلا يضر ا شيئاً ولا يضر الفقير لأن ا غني عن مال المتولين ولأن له عباداً يطيعون أمره فيعبدونه .

والغني : الموصوف بالغنى أي عدم الاحتياج . ولما لم يذكر له متعلق كان مفيداً الغنى العام .

والحميد : وصف مبالغة أي كثير الحمد للمنفقين على نحو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه ففسوف يأتي ا بقوم يحبهم ويحبونه) الآية .

ووصفه ب (الحميد) هنا نظير وصفه ب (الشكور) في قوله (إن تقرضوا ا قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم و ا شكور حلیم) فإن اسمه (الحميد) صالح لمعنى المحمود فيكون فعلاً بمعنى مفعول وصالح لمعنى كثير الحمد فيكون من أمثلة المبالغة لأن ا يثيب على فعل الخير ثواباً جزيلاً ويثني على فاعله ثناءً جميلاً فكان بذلك كثير الحمد . وقد حمّله على كلا المعنيين ابن برجان الأشبيلي في شرحه لأسماء ا الحسنی ووافقه كلام ابن العربي في أحكام القرآن في سورة الأعراف وهو الحق . وقصره الغزالي في المقصد الأسنى على معنى " المحمود " .

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (فإن ا الغني الحميد) بدون ضمير فصل وكذلك هو مرسوم في مصحف المدينة ومصحف الشام . وقرأه الباقر (فإن ا هو الغني الحميد) بضمير فصل بعد اسم الجلالة وكذلك هو مرسوم في مصاحف مكة والبصرة والكوفة فهما روايتان متواترتان . والجملة مفيدة للقصر بدون ضمير فصل لأن تعريف المسند إليه والمسند من طرق القصر فالقراءة بضمير الفصل تفيد تأكيد القصر .

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم ا من ينصره ورسله بالغيب إن ا قوي

عزير [25]) استئناف ابتدائي ناشئ عما تقدم من التحريض على الإنفاق في سبيل الله وعن الفتح وعن تذييل ذلك بقوله (ومن يتول فإن الله الغني الحميد) وهو إعداء للمتولين من المنافقين ليتداركوا صلاحهم باتباع الرسول A والتدبر في هدي القرآن وإنذار لهم إن لم يراعوا وينصاعوا إلى الحجة الساطعة بأنه يكون تقويم عوجهم بالسيوف القاطعة وهو ما صرح لهم به في قوله في سورة الأحزاب (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) وقوله في سورة التحريم (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم) لئلا يحسبوا أن قوله (ومن يتول فإن الله الغني الحميد) مجرد متاركة فيطمئنوا لذلك .

وتأكيد الخبر بلام القسم وحرف التحقيق راجع إلى ما تضمنه الخبر من ذكر ما في إرسال رسل الله وكتبه من إقامة القسط للناس ومن التعريض بحمل المعرضين على السيف إن استمروا على غلوائهم .

وجمع (الرسل) هنا لإفادة أن ما جاء به محمد A ليس بدعا من الرسل وأن مكابرة المنافقين عماية عن سنة الله في خلقه فتأكيد ذلك مبني على تنزيل السامعين منزلة من ينكر أن الله أرسل رسلا قبل محمد A لأن حالهم في التعجب من دعواه الرسالة كحال من ينكر أن الله أرسل رسلا من قبل . وقد تكرر مثل هذا في مواضع من القرآن كقوله تعالى (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات) .

في داخله والمعجزات الله مراد هو إليه يدعون ما أن على الدالة الحجج : والبينات A E البينات .

وتعريف (الكتاب) تعريف الجنس أي وأنزلنا معهم كتباً أي مثل القرآن